العنقاء في التراث الأدبي الكردي

سرفراز علي النقشبندي

● **التراث** عالم غزير متشعب إستوعب الكثير من التفسيرات وعكس الدلالات والمعاني التي ظهرت بأشكال مختلفة.. وللحيوان دور كبير وتواجد مستمر وبمظاهر شتىٰ في مداخل التراث، فكما نعلم أن الصلة بين عالم الانسان وعالم الحيوان قديمة قدم تواجدهما وقد أدت هذه الصلة الى بروزه معبراً عن تساؤلات الانسان البدائي وحيرته ازاء الظواهر التي صاحبت وجوده على الارض وعلى نحو رمزي كاشفاً تطلعاته ومخاوفه متخذاً شكل الأساطير والحكايات والطقوس والمعتقدات التي ترسبت لتكون تراثاً شعبيا يكون البداية للعلوم والفنون والأديان.

وتقودنا دراسة الحيوان في التراث الى معرفة الكينونه الاجتماعيه والمعتقدات التي كانت تؤمن بها تلك الشعوب، وتحديد البعد التأريخي لها والطبيعة الجغرافية لتلك المواطن ومدىٰ تأصل وعمق تلك المعتقدات في نفوس ذلك المجتمع.

والحيوان في التراث إما أن يكون رمزاً لمدلول معين أو قد يعبر عن أفعال تمثل قوى الخير والشر حيث يحكىٰ عن لسانه العبر والمواعظ لترسيخ القوانين والأسس والاخلاق المراد توطينها في نفوس البشر كما نلاحظ في كتاب كليلة ودمنة.

(وليس بعيداً أن تتطور الأسطوره تحت الظروف الاجتماعية والدينية عبر العصور حتى تتخذ شكل الخرافة عند ذلك ينسىٰ أصلها الديني وتدرج مع الحكاية الخرافية[1]). «كالعنقاء» التي نحن بصددها، واختلاف الناس من حيث تصورها وقدرتها الخارقة.

وعلينا أن لاننسىٰ دور الأديان في الحقبات التأريخية المختلفة في ترسيخ وتطوير وتغيير هذه المفاهيم واذابتها في بوادق تتلاءم مع مايؤمنون به ومايدعون اليه.

وللكرد تصوراتهم الخاصة بهم عن هذا الطائر تظهر بشكل أو بآخر في حكاياتهم الشعبية أو خلال استخدامهم له كرمز شعري له مدلولاته، أو عبر آثاره الشاخصة على جدران وأبواب المدن الأثرية في كردستان كما سنأتى الى سردها تباعاً

فالعنقاء أو كما يسميها الكرد ـ سيمرخ ـ والتي تعني ثلاثين طيراً في لغة الفرس. وفي الأفيستا جاءت ـ سيمرغ ـ ويذكرها الجاحظ في (الحيوان) (ج[٢] ص[٦٢] تحقيق عطوى «كانت مصورة في بسط الملوك واسمها عندهم ـ سيمرك ـ واستعملها المسيحيون رمزاً للولادة واستعملها ابن عربي للتعبير عن (فكرة قيام المهدي[٣])).

(وفي الصين تعرف العنقاء بأسم ـ فينك هوانك ـ وقيل بأن ـ الفينك ـ ذكر ـ والهوانك ـ أنثىٰ ويعني ذلك بأن العنقاء ثنائية الجنس أي خنثى[٣]) ويقابلها باللغة الانكليزية ـ فينكس ـ Fenix ـ وقد جاء ذكر العنقاء في تأريخ الحضارات القديمة (بأن التسمية أتت من ـ Purple ـ أي بمعنىٰ أحمر قان كالدم ـ Black Red ـ إشارة الى الارض أو الساحل الارجواني لسوريا المشهور بصناعة الاصباغ الارجوانيه والقرمزيه والذي يعتبر موطناً للعنقاء[٤]).

وقبل تقصي أخبار العنقاء وصفاتها تقودنا الضرورة الى الحديث عنها كونها سيدة الطيور وتسعىٰ جميع الطيور للمثول أمام حضرتها ورمزاً للآلهة عند الغابرين. (وقالت الطيور إن العنقاء سيدتنا وملكتنا فأشكو لها وكيل البحر. لقد خاف وكيل البحر واعاد فراخ الطيطوي[٥]).

لقد أوقد هذا الطائر القرائح وألهم الحاكين والشعراء والفلاسفة حتى بات رمزاً إلهيا كما في رسالة الطير لأبن سينا والغزالي وفي منطق الطير لفريد الدين العطار متأثرين بما جاء عن الطيور في السور والآيات الكريمة كسورة النور «والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون» مستلهمين خيالهم من أخبار الطيور واحوالها ومن هنا نشأ أدب جعل الطير يسعىٰ للأتصال بذات الله.. ويتخذ ابن سينا الفلسفة الى رحلته سبيلاً بينما يسعى الغزالي والعطار لبلوغ تلك الغاية عبر التصوف.. (فالفلسفة تستخدم العقل والعقل

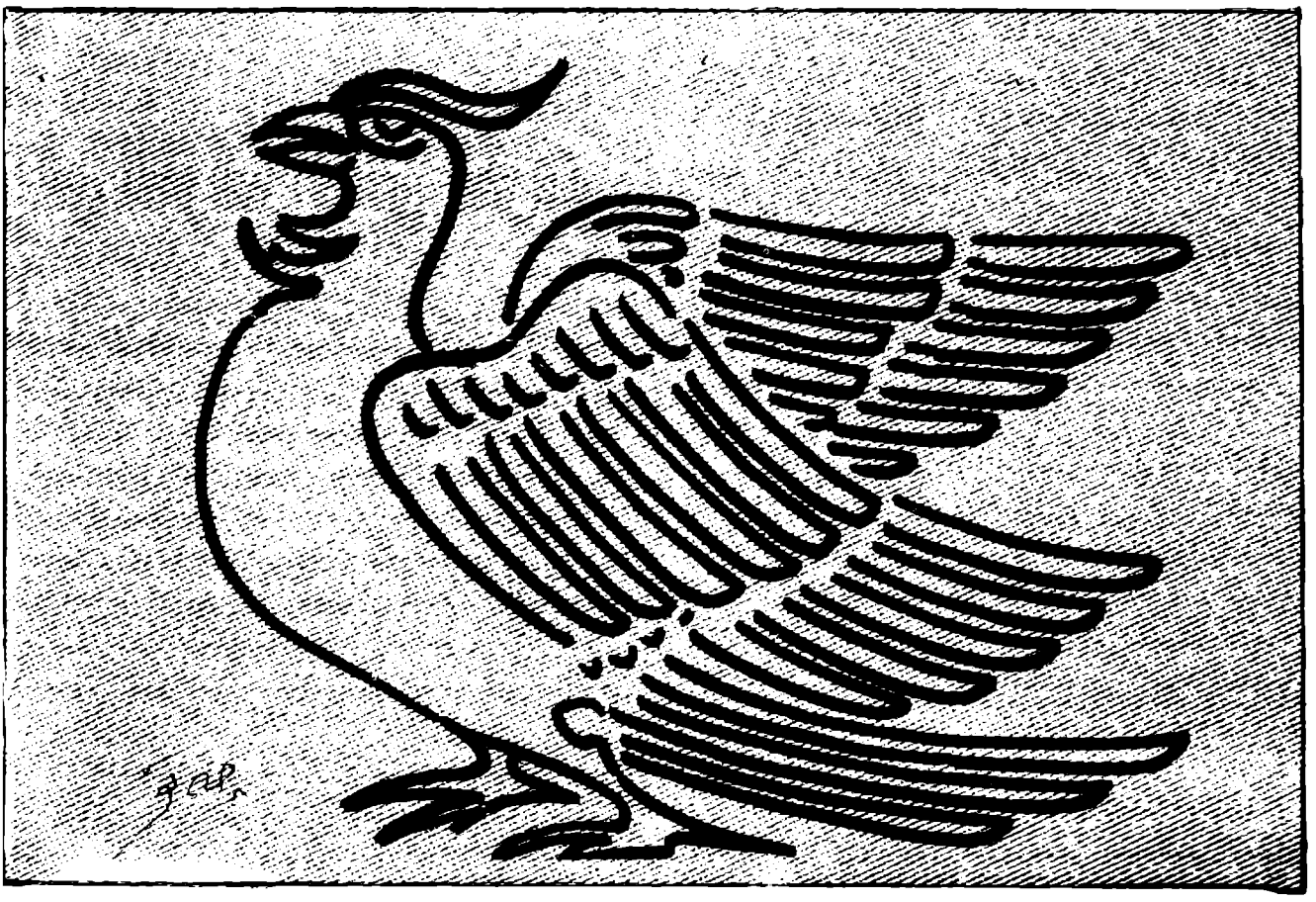

عاجز عن إدراك سر الفناء. أما التصوف فيصل الى ذلك عن طريق العشق الألهي الى حد الفنـاء والبقـاء مابعد الفنـاء «التفتازا في المدخل الى التصوف ص[١٣٣] وينطلق بعض الصوفية في حالة الفناء الى القول بالاتحاد والحلول ووحدة الوجود التي لاتفـرق فيهـا بين الانسان والله وبين العالم والله[١٣٤]. ويذكر العرب المسلمون بأن العنقاء طائر عظيم لايرى إلا في الدهور «والعنقاء» هي العقاب لأنها تعنق بصيدها، (وان العقاب جميعه أنثى «نهـايـة الارب للنـويـرى ج[٣٠] وحياة الحيوان الكبرى للدمـيرى ج[٣١] ص[١٣٥] وان ذكورها من طير آخر لطيف الجرم (نهـايـة الارب ج[٣٠] ص[١٨١] المخصص ج[١٤] ص[١٤٢]) (ولأبن عنين الشاعر في هجو شخص يقال له ابن سيدة:

ما أنت إلا كالعقاب فأمه / معروفة وله أب مجهول[٧])

ونحن نرى بأن العنقاء شئ والعقاب يختلف عنه. فالعقاب من فصيلة الجـوارح وهناك نوعان منه عقاب وزمج، فأما العقاب فمنهـا (السـود والخـوخيـة والابيض والاشقر ومنها مايأوى الجبال ومايأوى الصحارى ومايأوى حول المدن[١٨]) ويحكى ان قيصر ملك الروم أهـدى كسرى ملك فارس عقـابـاً فأعجبتـه وصـادبهـا ثم وثبت في صيدها على صبي من حاشيته فقتلها كسرى[٩]).

ويذكر القزويني بأن (العنقاء تخطف الفيل، واذا طارت سمعت لأجنحتهـا دوي كدوي الرعـد القاصف وتعيش الفي سنـة. أمـا ارسـطاطا ليس فيقـول انها تصطاد فيصنع من

مخـالبهـا اقـداح للشرب وهي أعـظم سبـاع الطير ويـذكـر «هليوبولس» قصة العنقاء التي تحمل ضريح أبيها وهو مهدها في الريح المواتيه الى مدينة الشمس حيث تضعها أمام الابواب المقـدسـة داخـل معبـدهـا ـ بيرويون [١٠]) والكاتب المصري «هورابولون» الذي يكتب بالأغريقيه يقول أن (العنقاء تتكاثر بجرح نفسها فتولد عنقاء صغيرة من دم الكبيرة [١١]) .

وقد جاء في قصيدة لاكتانتيوس بأن العنقاء (تجلس فوق العرش وتستسلم الى الموت الذي سيكون مصدراً لحياتها ومن حرارة جسمهـا يتـولد اللهب فتتحول الى رماد يصير كالبذرة يخرج منها حيوان كأنه دودة حليبية اللون تتكور في شكل بيضة تنشق فشرتها فتخرج منها فراشة تتغذى على الرحيق والندى... الخ[١٢]) أما في الديوان الذي صدره ـ جستر ـ بمؤلفه المعروف (شهيـد الحب ـ الذي يحتـوى على موضـوعات مختلفة منها العنقـاء والنـواح حيث يقول (في احدى ندوات مجلس الآلهة الرومـانية تصف الطبيعة وجمال العنقاء وتعرب عن خشيتها أنها لعلها ستموت دون عقب يخلفها. فيرد عليها ـ جوبيتر كبير الآلهه ان شخصاً جميلاً نبيلاً سوف يلاقي العنقاء على جبل عال [١٣])

ومن رمادها سوف تخرج بأمر مني
عنقاء أخرىٰ تضاهيها

ويتم اللقـاء عنـد وصول حمام حزين على موت اليفته ويقرر الاثنان العنقاء والحمام أن يموتا معاً بطريقة تدل على التضحية من أجل انجاب الذريه[١٤]). كما جاء في المصدر بأن (جستر) كان قد عثر على شعار غريب مؤثر هو أصل اسطورة أفاد منها في حكـايتـه عن الاتحـاد والمـوت بين العنقـاء والحمـام غير المتجـانسين بصورة واضحة ويتفق العرب والغربيون على ان العنقاء نباتيه في طعامها ماعدا «اوفيد» ـ ٤٣ ق.م ـ١٧ ب.م ـ الذي قال بأن العنقاء لاتتغذى على الحبوب والحشائش وانما غذاؤها هو صمغ البخور ونسغ البلسم واذا بلغ عمرها خمسة قرون تبـاشر ببنـاء عشها بمنقارها ومخالبها الطاهرة وتفرش العش بالدارصـين وعيـدان الناردين ورقائق من لحاء القرفه ....الخ[١٥]). اما ـ بلاينى ـ عالم الطبيعة والمؤلف الروماني ـ ٢٣ ـ ٧٩ ـ م ـ فقد وصف طير العنقاء (انه كبير كالنسر ولونه أصفـر ولامـع كالذهب وخصـوصاً عند الرقبه وباقي جسمه أرجواني ....الخ[١٦]). ورأي العرب القدامىٰ هو (سميت بالعنقاء لوجود ريش ابيض في عنقها يشبه الطوق[١٧]). وفريق آخر منهم يقول ـ العنقاء توجد منها مذهبة الريش أو ملونة.

ولاتخلو الحكـايـة الشعبية والأساطير الكردية من آثار العنقـاء فهي تخبرنا عن أخبارها من حيث قدسيتها وقدرتها الخـارقـة وضخـامـة حجمهـا وطريقـة فنائها وتغذيتها منها مايتشابه مع تصورات الشعوب الأخرى ومنها ماهو مختلف غير أن المدون منها نادر فقد ذكرها الاستاذ ـ علاءالدين السجادي ـ (في حكاية الأخوين ـ بارام ـ و ـ بالى ـ حيث تحمل العنقاء إبنـة بارام من مدينـة «گومەته» الى حيث يسكن إبن عمها ـ شاروخ[١٨]). فالعنقاء هنا حققت إحدى صفاتها الاوهي تحقيق غاية ـ شاروخ ـ أما في الحكايات الأخرى منها التي بحوزتنا يظهر فيها بأن الكرد يتفق مع الشعوب الاخرى على ضخامة العنقاء فهي تحمل جرب الماء واطنان الملح وشحم الخراف. بل تقدر أن تضع لحم فخذ رجل تحت لسانها وتغلق فمها لتطير عالياً في أعالي السماء حتى لايبدو من الارض شيْ واضح. وهي تسمع صدى صوت صغارها حينما يستنجدون بها من وراء الجبال. أما انها من سباع الطير بل وملكة الطيور وتسعىٰ كافة الطيـور للمثـول أمام حضرتها فهذا أيضا واضح في الحكاية الكـردية. وهي تعلم وتقدر مالا تعلم به ولاتقدر عليه الكائنات الأخرىٰ وفي الحكايات تنتصر على السحرة والاشرار. أما فكرة فنائها فقد جاءت ذكرها في شرح شعار دار الأماره في العمادية ـ مركز امارة بهدينان. والشعار يمثل طائر العنقاء التي تتدلى تحت قدميها الى أسفل الباب حيّتان ضخمتان.

حيث إعتمد المؤلف في شرحه على ماورد في دليل المصايف العراقيه ص ٢٧ـ٢٨. (على ان الحيه مشهورة بفطنتها والعنقاء تدخـر طعام صغارها في حوصلتها ولدى حدوث المجاعة تشق حوصلتهـا بمنقـارهـا لتغـذي بدمها صغارها ثم تموت جذلة مسرورة[١٩]). وهذا وجه آخر من أوجه فناء العنقاء نضيفه الى ماورد في التراث العربي والغربي المدون.

ومادمنا قد تطرقنا الى شعار إمارة بهدينان علينا الاشارة

الى ماذكره الدكتور ـ عماد الدين خليل ـ (بأنه قرب الباب الغربي لمدينة العمادية والذي يسمى بـ باب السقا ـ دمركەی سەقافا ـ توجد صورة حارسين مسلحين بينهما حيوان لايوجد له شبيه حي[٢٠]) وغيرها من نقوش (تعود الى عصر ماقبل الاسلام[٢١]). ولعل القصد هنا هو العنقاء أو قد يكون ـ همايى ـ وهو الآخر طائر خرافي مشهور بطير الدولة و(انه طائر رمزي مقدس يدل على السعاده والعظمه[٢٢]).

وقد استعاره الجزيري في قصيدة له. كما ان وجود الحيتين في الشعار يدعونا الى القول بأن الحية تلعب دورها لدى المعتقدات الكردية القديمة فالافعى (نلتقي بها ونحن نتعرف على الارمن والاكراد والماديين إضافة الى دورها في الرمزية اليزيدية. وتعتبر الافعى عند الاكراد إرصاداً على الكنوز وحارساً للخزائن[٢٣]). بمعنى ان الشعار المذكور عبارة عن العنقاء التي تمثل تحقيق الغايات والتضحية والديمومة والحاكم العادل المقتدر والافعى المشهوره بفطنتها ودهائها تكون الحارس اليقظ على كنوز الاماره.

ولايقر الكرد نباتية العنقاء بل تظهر في سياق حكاياتهم بأنها من آكلة اللحوم والكمية التي تلتهمها من الشحم والملح والماء في كل جولة كمية هائله عندما تحدثنا عن فكرة العرب والغربيين عن العنقاء ذكرنا رأى ارسطاطاليس وهو ان العنقاء تصطاد فيصنع من مخالبها أقداح للشرب. غير ان الاكراد يؤكدون إستحالة صيدها في الحكايات وقد استخدم الشيخ الجزيري هذا المفهوم في (قصيدة[٢٤]) له يقول :

«عەنقا» نەشیکارا کەسە دافان تو بو بەچین فەرە
دافا کو لعەنقا تو فەدی بادی هەوا گرت

بمعنى ان الحبيب في عزة مناله لايصل اليه أحد والفوز به أمر محال ومن حاول رمي شباكه في طريقها فلا يرفع غير الأسى والخيبة لذا عليه أن لايلقيها. لقد وظف الجزيري هنا «العنقاء» المعروف عنها بأن صيدها محال معبراً عن فكرة الوصول الى وصال الحبيب كنايه عن ذات الله عند المتصوفه.

ويجدر بنا الاشاره الى رأى العرب المذكور بأن العنقاء هي العقاب لانها تعنق بصيدها. وهنا فكرة إستحالة صيد العنقاء تدحض القول بأنها عقاب.

ولاأثر لموتها بالنار عند الكرد كما جاء في التراث الغربي. ويذكرها الكرد بأنها تبيض وبيضها كبير الحجم. كما يتوارد في الحكايات الكردية ذكر العنقاء الأنثى دون الذكر ولقلة النصوص لانستطيع الجزم بأن الكرد يؤيدون فكرة اتصالها بطائر آخر لطيف الجرم كما جاء في تراث بعض الشعوب.

وفي الحكاية الكردية تظهر بأن العنقاء تسمع صدى صوت صغارها حينما يستنجدون بها من وراء الجبال. وفي جناحها قوة سحرية فهي تعطي من تريد مساعدته ريشتين من جناحها ومتى مااحتاج اليها يشحذ الريشتين فتحضر العنقاء حالاً وتغيثه. وان لعابها يشفي الجروح بسرعة مذهله وانها رمز القوة والتضحية ولاترد من يطلب عونها.

وقد جاء ذكر العنقاء في الشعر الكلاسيكي الكردي واستخدمها اكثر من شاعر كرمز أسطورى ونعود الى الشاعر الكردي المتصوف الملا أحمد الجزيري حيث أبدع في التعبير عن حب الله والفناء في ذاته عبر قصائد رقيقه ومرهفه تشغف الفؤاد وتحمل في طياتها عشقاً أزلياً ونوراً لايبلغه إلا من ارتشف كؤوس العشق الالهي بروحه بعيداً عن مكنونات الجسد وهذا الفناء لايحصل إلا بعد التذوق الروحي والزهد. وقد وظف الجزيري العنقاء للتعبير عن مفهوم هذا العشق والفناء فيه في اكثر من قصيدة فأن ديوانه هو عين التصوف ومنبع سليل له.

ويؤكد الاستاذ أمين الشيخ علاءالدين النقشبندي على هذه الحقيقه بقوله (لو سبرنا أغوار ديوان الجزيري وحللنا مفردات قصائده فأني على يقين بأننا لن نعثر على قصيدة واحدة لم يشار فيها الى التصوف إضافة الى فلسفة الوجود والتوحيد التي نراها واضحة[٢٥]).

يقول في قصيدة له :

مەحبوب ب دل بت مە ب ئەڤرازی چ حاجەت
عەنقا بە خوە بێتن فرو پەروازی چ حاجەت

بمعنى : ان تواجد المحبوب وكان حاضراً في القلب فما الحاجة للبحث عنه في مكان آخر. واذا كانت العنقاء تأتي من تلقاء نفسها فأي حاجة للطيران وراءها. والعنقاء هنا دلالة على الحبيب وكناية عن الاله الموجود والساكن في القلب.

لانـه كمـا يقـول ابـو بكـر الكتاني («التصوف صفاء ومشاهده» ويضيف ابو سلمان داراـ وهو من كبار المتصوفين: «قلب المتصـوف متوجه الى الله والشئ الذي يرى الله لايموت» بمعنى قلب المتصوف لايموت[٢٦]). والصوفي يتدرج في تصوفه مرتبة تلو الاخرى حتى يبلغ ذلك العشق الحقيقي عن طريق العشق المجازي ويرى كل الجمال هبة من الله والله منبع كل شئ فيتحول الى العشق المسبب كما فعل الجزيري.

امـا الشيـخ رضا الطالباني (١٨٣٢ ـ ١٩١٠) شاعر الهجاء الكردي الشهير فقد استعمل العنقاء في بيت شعر كطائر خيالي واسم بغير مسمى فيقول :

سێ ئیسم هەن بێ موسەمما هەرومکو ئابی بەقا
تەیری (عەنقا) شاری جابولقا، پلاوی خانەقا

فقـد وظف شاعـرنـا طير العنقاء في هذا البيت كمثيل للاسماء الخيالية الأخرىٰ كماء الحياة ومدينة (جابولقا) و (رُز الخـانقاه). وبهذا يهجو شاعرنا أحد اصحاب التكايا، الذين يتسلمون رواتب ضخمة لصرفها على إطعام الفقراء والمشردين الذين لايملكون قوت يومهم، فعندما يتوجهون الى تلك التكايا لايجدون فيها طعاماً يشبعون بها بطونهم سوىٰ حساء الرز أو الحنطة فطبيخ الرز في التكايا اصبح اسماً بغير مسمى لاوجود له كطير العنقاء.

فعندما نمعن النظر في هذا البيت لانحس بان الشاعر قد استعمـل (العنقـاء) كرمـز تصـوفي كما تناولها الشيخ أحمد الجزيري او كما يوظفها الشعراء المعاصرون. بل وظفها كطائر خيالي لاوجود له في اعتقاده.

وبمـا أن التـراث جزء أسـاسي من الثقـافة الانسانية ووسيلة مهمة تنقل الرمزيه في فترات مختلفة وعنصراً بناءً لاغنىٰ عنـه في خلق تصورات خياليه وعلميه. لذا نرى بأن الشعراء المعـاصرين إستخـدموا ـ العنقاء ـ كرمز أسطوري متأثرين بتراثهم ومستلهمين من منابعه قصائداً معاصرة في الشكل والمضمون.

ومهما يكن وجه توظيف العنقاء في الشعر المعاصر لدى الشعـراء الكـرد. الا أنـه يدور حول ماهية العنقاء وعظمتها وقدرتها الخارقة التي ترسخت في الأذهان وتناقلها الادب وصاغ فيها مستحدثاً رؤيا جديدة للقصيدة المعاصرة. وهذا التوظيف ان دل على شئ إنما يدل على عراقه التراث من جانب وأصالة الشعراء من جانب آخر.

فأن اختيـار الصـور الشعرية من منابع التراث دليل تلاحم وامتـزاج الشعـراء بكنوز تراثهم الحي والغابر فتكون لقصائدهم بعداً تأريخياً وجذوراً راسخه. ومن هنا تبرز امكانية الشـاعـر في استخـدام الرمز الاسطوري بطريقة تلائم روح العصر وتحي التراث في عين الوقت. وقد اخترنا هنا شعراء في سبيل المثال لا الحصر ممن استخدم العنقاء كرمز له مدلوله..

حيث يقول الشاعر . صلاح شوان ـ في (قصيدة[٢٧]) له :ـ

هەر چەندم کرد
نە «سیمرغێ»
نە پەرییەك نەبو
دەست بداتە بەرم

★★★

وترجمتها :

كم حاولت
فلم أجد «عنقاء»
ولاملاكاً يتلقفني

★★★

ومن سيـاق البيت نرى بأن الشـاعر استخدم العنقاء والمـلائكـة كأنهمـا قرينـان لبعضهما في القدرة على منعه من السقوط. كأنه اراد أن يستمد منها قوة تسند إنهماره. استخدم الرمـز من واقـع أسـطورة العنقـاء إستخداماً رومانسياً أما الشاعر (عبدالرحمن المزوري[٢٨]) فيقول :

مانێ تە دیت چەوا من خو،
کرە «سیمر» .. کرە باهوز

ترجمتها :

ها انك رأيت، كيف اني
من نفسي جعلت
«عنقاء» وزوبعه ..

هنـا الشاعر قرن العنقاء بالزوبعة ووصف نفسه بهما

حين اراد أن يجعـل ذاته مركزاً للقوة من أجل الحبيبه وكأنه العنقاء والعاصفة وكأنه يقول لها فعلت المحال لأجلك. فالعنقاء تقـدر مالايقـدر عليـه الكائنات وللشاعر سعد الله پەروش في العنقاء (بيت[٩]) يقول فيه :ـ

بەلام دڵنيام بۆ دونيای ناخی تەنيات
زۆر دووره ريم
بويه شەو نيه بەباڵی «سيمرخێكی» خەونەكانم
بۆت نەگەرێم

وترجمتها :

ولكني متأكد، عن أسبار عالم وحدتك
بعيد دربي .
لذا كل ليلة وبجناح «عنقاء» أحلامي
ابحث عنك .

الشاعر هنا استعار العنقاء وعظمتها ليحدثنا عن عظمة أحلامه فقد وصفها بأنها بقوة جناح العنقاء التي لاتعرف الكلل وكـأنـه يرفض مايشعـر به من تأكيد في البيت الأول. ويؤكد شعوره الجديد مادامت أحلامه عنقاء، والعنقاء لاتعرف اليأس مع المحال.

أمـا الدكتـور نافـع عقـراوي فقد إستخدم العنقاء في (قصيدته[٣٠]) :ـ

لايستميح العنقاء عذراً
لايطلب مساعدتها
لايدع أحداً يشاركه أدام خبزه.

فعلى الرغم من رفضه من ان العنقاء تساعده ورفضه أن يستميحها عذراً وكأنه يرى في بطل قصيدته قوة اكبر من العنقاء ـ لايدع أحداً يشاركه أدام خبزه ـ اذن فهو يرفض المساعدة الا أنه يقر فيها ضمناً قوة العنقاء وعظمتها فلم ير أعظم منها يجعلها رمزاً يقف بقوة البطل ضدها.

لقد راينا تعدد صيغ إستخدام العنقاء عند الشعراء إلا انهم جميعاً وقفوا على حقيقة واحدة وهي عظمة وقدسية العنقاء وقدرتها الخارقه التي تعيدنا الى ماهيتها في الاسطورة الاصليه. ولم يصفها أحد بغير صفاتها التراثية. وان اختلفوا في الصورة الشعريه كل حسب امكانيته الشعريه ودواخله الخاصة به.

ونعود الآن الى تدوين ترجمة حكاية تظهر في سياقها ماتم مناقشة من اراء حول العنقاء اكمالا للفائدة المرجوة من الموضوع.

الحكاية هي حكاية ـ التفاحات الثلاث ـ والتي تشبه في محتواها حكاية الخيارات الثلاثة ـ الموصولية ـ غير ان الاخيرة لاوجود للعنقاء فيها.

فهذه الحكاية الكردية عبارة عن مزج أو ربط اكثر من حكاية واحده وهنا لانود الدخول في هذه التفاصيل التي تجرفنا الى التداخل والتشابه الموجودين في التراث وهجرته وترحاله بين الشعـوب ومـدى تأثـيره بالمجتمع الجديد الذي يستوطن فيه فيجري عليه التحوير والحذف والاضافه وفقاً لمتطلبات السامع ومعتقـداتـه وعـاداتـه وتقاليده الاجتماعية وبيئته الجغرافية خاصة اذا كانت تلك الشعوب متجاورة أو تعيش في وطن واحد وتربطها روابط دينيه كما هو الحال مع الشعب الكردي والاقوام التي تجاوره أو تعايشه .

ـ(التفاحات الثلاث [٣١])ـ

يحكى بأنه كان في مدينة ما حاكم ليس له أولاد. زارت زوجته الاولياء وسألت الحكماء والاطباء دون جدوى، وفي يوم. مازارت مزار ولي قيل عنه انه أكيد في اعطاء المراد. وطلبت منه ولداً ونذرت على نفسها ان تحقق مرادها ساقيتان تحفرهما أمام القصر وفي كل سنة تملأ احداها بالعسل والاخرى بالسمن طالما الولد على قيد الحياة. فيغرف منها الفقراء من أهل المدينة.

فكـان لهـا ماارادت ووهبها الله ولداً جميلاً. وظلت هي تفديه قربانها الى أن بلغ الولد ـ١٥ـ عاماً ـ وفي تلك السنة واثناء موعد القربان تخلفت إمرأة عجوز عن الحضور وكانت قد ذهبت الى النهر لتغسل ملابسها وعند عودتها في المساء اخبرها أهل المدينة بأن اليوم هو يوم قربان الأمير، فهرعت العجوز تحمل جرتها وكان الناس قد أغرفوا من الساقيه ولم يبق فيها إلا بقايا عالقـه على الجـدران. فأخـذت العجـوز تمسح بقايا قطرات الساقيه حتى ملأت جرتها وفي تلك الاثناء كان الأمير الشاب المدلل واقفاً في بهو قصره يراقب العجوز وفي يده قوس وبشقاوة الصبيـان رمى بالقوس سهماً واصاب جرة العجوز فانكسرت رفعت العجوز راسها ووقعت عيناهاعلى الأمير فقالت له «ماذا

أقول لك فليجعل الله التفاحات الثلاث من نصيبك».

تعجب الأمير وأصر على معرفة معنى ـ التفاحات الثلاث. عبثا حاولت العجوز أن تنسيه الأمر، فالأمير يزداد إصراراً.. وتبع العجوز حتى دارها وهناك وعدها بالعسل والسمن اضعاف ماكانت تتمنى ووهبها الدراهم الذهبية. قالت العجوز «اني أخشى عليك ياسيدي فالطريق خطر وانت وحيد والديك وإن حدث لك مكروه لاسامح الله. فوالدك سيدق عنقي». فوعدها الأمير بأن لايخبر أحداً بأمره. قالت العجوز «ارحل بأتجاه الشرق وسر مسافة يومين، بعدها ترجل عن فرسك والجمه واتركه حيث هو. وسر على قدميك بأتجاه الشمال يومين متتاليين سترى نبعاً من الماء وبقربه شجرة عظيمة تمتد أغصانها على أطراف النبع فوقها عش كبير زاهي المنظر هو عش «العنقاء». اجلس تحت الشجرة وراقب العش ستأتي حية ضخمة لأبتلاع الفراخ في غياب العنقاء الكبيرة، فالحية تفعل هذا منذ دهر من الزمان.. لاتتأخر أقتل الحية وقطعها واطعم لحمها للفراخ. وتمدد تحت الشجرة وحاول أن تنام الى أن تعود «العنقاء» الأم على أثر صراخ فراخها من خلف الجبال. ستأتي حاملة بين مخالبها صخرة عملاقه لقتل من يقترب من عشها فلا تخف منها سوف لن تصيبك بسوء، سيمنعها الفراخ ويحكون لها صنيعك. لاتتحرك من مكانك. حينها ستأتي العنقاء ملبية لك مبتغاك فحدثها عن امر التفاحات. ياولدي «العنقاء» العظيمة وحدها قادرة على مساعدتك. ولاأحداً غيرها يعلم هذه الخبايا ولاأحداً يقدر أن يصلها سواها. فأرحل وتوكل على الله. فعل الأمير ماأخبرته العجوز.. حتى حضرت «العنقاء» حاملة صخرة وكأنها جبل وما أن أخبرها الفراخ عن الشاب الذي قتل الافعى حتى رمت الصخرة بعيداً فأهتزت الارض وانتصبت الصخرة في الارض مكونة جبلاً من الصخور.. ونزلت العنقاء الى حيث ينام الامير وجعلت من احد جناحيها مهفة تهف بهاوجهه ومن الآخر ظلالاً رائعة تظلله.. افاق الأمير من نومه هلعاً متعجباً من ضخامة العنقاء. وهيبتها وجمال ريشها. فقالت له «لاتخف أيها الشاب الطيب، واطلب ماتريد لأرد لك جميل صنيعك.» عندها أخبرها عن رغبته في إمتلاك التفاحات. سكتت «العنقاء» برهة تفكر ثم قالت «امر صعب وطريق وعر غير إني وعدتك بما تتمنى. وأنا العنقاء التي تفي بوعدها. فأذهب الآن عائداً الى حيث أتيت واجلب معك سبعة أجربة من الماء ومثلها من الملح وشحم الخراف حتى أحلق بك الى مبتغاك». فعل الأمير وعاد يأخذ معه ما طلبت العنقاء ولم يخبر أحداً بأمره.. فحملته العنقاء على جناحيها ومعه كل ماأحضره من مؤونة، وظلت تعلو في كبد السماء وبين الفينة والفينة تسأله هل يرى شيئاً من الارض فيجيبها نعم فتظل تعلو، الى ان قال لها لم أعد ارى شيأ. فقالت العنقاء «لقد وصلنا الآن سندنو من بستان التفاح.. أحذر فالبستان مليئ بالحيوانات والوحوش والسحرة والأشرار حاول أن تكون سريعاً في قطف التفاحات. لأنها لحظة قطفها ستصرخ وسيفيق على صراخها سيد البستان وهو ساحر شرير ويأمر الحيوانات بقتلك والسحرة بمسخك سأهبط بك لحظة واعطيك ريشتين من جناحي وما أن تنتهي من عملك تشحذهما فأحضر حالاً وارفعك قبل أن يتمكن منك الأشرار.» دنت العنقاء ونزل الأمير مسرعاً يقطف التفاح ويشحذ الريشتان فتحضر العنقاء ويرتفعان وسط سهام السحره وصراخ الوحوش وصاحب البستان ينادي لاتدعوه يرحل أمسخوه صخراً.. أقتلوه غير أن العنقاء الداهية والخارقة كانت قد طارت عالياً .

بين برهة واخرى تطلب العنقاء من الأمير أن يطعمها شحماً وملحاً وماء حتى نفذ ماكان يحمله وظلت هي تطلب المزيد. حرج الأمير تحت وطأة الحاحها واضطر أن يقطع شريحة لحم من فخذه ويطعمها للعنقاء.. أحست العنقاء بأن لهذا اللحم نكهة البشر فلم تبتلعه بل تركته تحت لسانها حتى وصلا الى حيث النبع وعش العنقاء. ترجل الأمير وكان يعرج من شدة الألم في فخذه. ولم يخبر العنقاء مابه. غير ان العنقاء إبتسمت واخرجت شريحة اللحم من فمها ووضعتها محلها ثم مسحته بلعابها فشفي حالاً وكأن شيئاً لم يكن. وقبل أن يودع العنقاء قالت له «حذار من قطع التفاحات حتى تصل الى نبع ماء أو نهر.

سار الأمير مسافة بعدها جلس في ظل شجرة بلوط طلباً للراحه. أشغفه سر التفاحات، قاوم رغبته في قطعها متذكراً وصية العنقاء غير انه أخيراً قطع واحدة بالسكين فخرجت منها فتاة كالملاك لامثيل لها في الجمال، وظلت تطلب الماء.. الماء، أريد أن أسبح

أيها الأمير أريد أن أشرب.. قلق الأمير بحث عن الماء ولم يجده، فماتت الفتاة حالا.. حزن كثيراً ولام نفسه ثم قام بدفن الفتاة وسار الى حيث ترك فرسه. حينها ألحت الرغبة عليه ثانية فلم يقدر على مقاومتها وقام بقطع التفاحة الثانية وخرجت منها فتاة كالاولى وماتت بالطريقة نفسها بعد أن طلبت ماء.. ماء.. فأقسم الأمير على أن لايقطع التفاحة الثالثة التي لم يبقىٰ سواها، وصل الى قصره واتجه نحو نبع الماء فوراً وقبل أن يخبر والده بعودته. فقد كانت المدينة حزينة على اختفاء الأمير طوال هذه الفترة بعد أن انهكها البحث عنه وظنت انه قد فارق الحياة في مكان ما. قطع التفاحة الثالثة وخرجت الفتاة الثالثة وهرولت نحو الماء تسبح ضاحكه. بعدها اخذها الأمير الى ديوان والده وعقد عليها ونظمت الافراح واستمرت سبعة أيام بلياليها وعلت أصوات النساء في فرح تغني ورقصت المدينة كلها على الحان الناي. وتزوج الأمير من فتاة التفاح.

الحكاية هنا ـ يجب أن تنتهي. فالنهايات السعيدة هي في العموم صفات مميزة فعلاً في الحكايات الشعبية. غير ان الراوي كما يبدو قد أطال فيها وربطها بأحداث حكاية أخرى تكاد أن تكون منفصلة كحكاية كاملة بحد ذاتها وقد أختار الراوي حكاية تتلاءم مع أحداث الحكاية الأولىٰ وربطها بحذاقه لاتشوش تشويق السامع وتتماشىٰ مع أجواء الحكاية الاصلية.

ويحدث هذا في التراث فقد تتطور الحكاية أو الأسطورة تحت تأثير صنعة القاص وذوقه واحاسيسه أو ذوق المجتمع الذي تروى فيه الحكاية وظروفه.

ولكن علينا أن لاننسىٰ بأن الحاكي الأصيل يحاول دائماً المحافظة على السمات الأساسية للحكاية ويفتخر بها وكثيراً مايتوارثها. وهنا نكتفي بهذا القدر من الحكاية بأعتبارها وحدة متكاملة تخدم الهدف الذي من أجله كتب الموضوع. ولانروم الدخول الى هذا الجانب من التحليل كونه يمثل بحد ذاته دراسة منفصلة تحتاج الى ان ينفرد بها الدارس بدراسة منهجيه وعلىٰ أسس علمية من خلالها يقوم بتحليل الرموز الفلكلوريه والاسباب الموجبه لهذا الدمج وغيرها من الامور التي يعنى بها التراث

المصادر :

١ـ د. نبيله ابراهيم ـ اشكال التعبير في الادب الشعبي/ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٤.

٢ـ مجلة التراث الشعبي العدد الفصلي لسنة ١٩٨٦ ـ دراسة مقارنة.

٣ـ مجلة التراث الشعبي العدد (١) عام ١٩٧٧ ص[٣٢]

٤ـ مجلة التراث الشعبي العدد الفصلي لسنة ١٩٨٦.

٥ـ كتاب كليلة ودمنة

٦ـ مجلة التراث الشعبي لسنة ١٩٨٦

٧ـ الشيخ كمال الدين الدميرى ـ حياة الحيوان الكبرى ج[٢] ـ مع هامش عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات للعلامه زكريا القزويني.

٨ـ المصدر السابق .

٩ـ المصدر السابق .

١٠ـ مجلة التراث الشعبي ـ لسنة ١٩٨٦

١١ـ المصدر السابق .

١٢ـ المصدر السابق .

١٣ـ المصدر السابق .

١٤ـ المصدر السابق .

١٥ـ المصدر السابق .

١٦ـ المصدر السابق .

١٧ـ المصدر السابق .

١٨ـ الاستاذ علاءالدين السجادي ـ تاريخ الادب الكردي ـ الجزء الثاني ص[١١٥-٨]

١٩ـ محفوظ العباسي ـ إمارة بهدينان .

٢٠ـ د. عماد الدين خليل ـ عماد الدين الزنكي .

٢١ـ أنور المائي ـ الاكراد ـ ص[٢١].

٢٢ـ الاستاذ أمين الشيخ علاءالدين ـ ماهو التصوف ـ باللغة الكردية.

٢٣ـ باسيل نيكيتين ـ الاكراد .

٢٤ـ الزفنكي ـ ديوان الشيخ أحمد الجزيري .

٢٥ـ الاستاذ أمين الشيخ علاءالدين ـ ماهو التصوف .

٢٦ـ نفس المصدر السابق .

٢٧ـ مجلة الاديب الكردي .

٢٨ـ ديوان الشاعر ـ ل خەلکی تەحلێ ل من شرینێ ـ

٢٩ـ مسوده بحوزة الشاعر .

٣٠ـ الشاعر نفسه .

٣١ـ راوي الحكاية ـ والدتي البالغة في العمر (٥٥) سنة من أهالي قرية بامرنى.